

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

ظلم النفس والغفلة عن الله تعالى

خطب المناسبات

اللقاء التاسع من تفسير سورة الزمر - شرح الآيات 45-52

2022-06-18

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يارب العالمين، وبعد مع اللقاء التاسع من لقاءات سورة الزمر ومع الآية الخامسة والأربعين، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا ذُكِرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ شَمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45)

(سورة الزمر)

سورة الزمر هي سورة التوحيد:



الإنسان دائماً لا يحب أن يواجه الحقيقة

سورة الزمر سورة التوحيد، تجريد العبودية لله تعالى وحده، وكل آياتها تخدم هذا الهدف الكلي للسورة، كل سورة في القرآن لها وحدة موضوعية، لها موضوع، والآيات كلها تسير في هذا النسق لخدمة الموضوع، هذه الآية واضحة وجليّة في علاقتها بموضوع السورة تتحدث عن التوحيد بشكل مباشر (وَإِذَا ذُكِرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ شَمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) اشمازت بمعنى نفرت، الانقباض النفور، ضد الاستبشار، الانتمزاز ضد الاستبشار، (شَمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) لماذا اشمازت قلوبهم؟ سؤال منطقي، لأن الإنسان دائماً لا يحب أن يواجه الحقيقة، ولا يحب أن يواجه مصيره، ولا يحب أن يواجه الشيء الذي يكذب به وهو حق، ويعلم بفطرته أنه حق، لا يحب ذلك.

مثلاً: طالب عنده امتحان مصيري، وهو مُعرض عن الدراسة، ذهب مع أصدقائه في نزهة وجالسون في مجلس ومستمتعون بالطعام الطيب، والمناظر الجميلة، أحدهم أحب أن ينغص عليه سروره، فقال له الامتحان المهم كم يوماً بقي له؟ فيشتمز، وينقبض، ويقول له: لماذا ذكرتني؟ دعنا مسرورين يا رجل، مع أنه ذكره بشيء مهم، وبحقيقة لكنه لا يريد أن يتذكر الشيء الذي يقصُّ مضجعه، يريد أن يبقى سادراً في شهواته، وهذا حُرق أن يهرب الإنسان من مواجهة الحقيقة، لديك امتحان وأنت تلعب وتلهو جاء من يذكرك به فانزعجت من تذكيره!

فهؤلاء لما أعرضوا عن الله عز وجل، وانغمسوا بشهواتهم، إذا ذكر الله وحده أمامهم وفطرتهم تقول لهم: إن الله واحد لا شريك له، وأن ما تعبدون من دونه لا يملكون لكم صراً ولا نفعاً، فهم يعبدونهم لمصلحة، لم يكن يذهب إلى الأصنام إلا الأتباع السذج، لكن الكبراء كانوا إذا ذهبوا إلى اللات والعزى يعلمون أن هؤلاء لا بضرون ولا ينفعون، ولا يقبضون، ولا يبسطون، ولكنهم كانوا يوهمون الناس أنهم مهتمون لأمر هذه الآلهة لأنها تحقق لهم مصالحهم، الموضوع موضوع مصالح، يستمرون في تعبيد الناس لهم بدلاً من أن يعبدوهم لله تعالى، فهم كانوا يهتمون بهذا الأمر، ليس اهتماماً حقيقياً وإنما اهتماماً مزوراً، فلما يأتي من يذكرهم بالله تعالى وفطرتهم تقول لهم: إن الله تعالى واحد لا شريك له يزعمهم ذلك، ويقص مضجعه، **(إِذَا ذُكِرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ شَمَاتُ)** لو أن الله ذكر مع الآلهة ما عندهم مشكلة، المهم ألا يدعى الله تعالى وحده، **(شَمَاتُ قُلُوبٍ)** اشتمزاز القلوب قد يظهر على الوجه، إذا اشتماز الإنسان يظهر على وجهه علامات أو على حركاته أو جسده توحى أنه مشتمز نافر من هذا، لكن الله تعالى نسب الاشتمزاز هنا إلى القلوب، لأن الأصل هو القلب هو الذي يشتمز فتظهر الأعراض على الوجه، ومثله الخشوع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ (16)

(سورة الحديد)

هل هناك آثار للخشوع على الوجه؟ ممكن تدمع العين، يغمض عينه أحياناً، تسكن جوارحه وهو يسمع كلام الله فلا يحرك ساكناً، آثار الخشوع ولكن الخشوع أين هو؟ في القلب حتى الكلام الذي تتكلمه أصله في القلب وليس على اللسان، قال الشاعر:

الكلام في الفؤاد وليس على اللسان، وأحياناً الإنسان يقول: والله رأيت موقفاً جميلاً فما عدت أتكلم كلمة، اللغة لم تسعفني، الكلام في الفؤاد موجود ولكن ليس لديه كلمات تعبر عما في فؤاده.

فالأصل هو القلب، الاشتمزاز في القلب، قال **(شَمَاتُ قُلُوبٍ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ)** ما قال الذين يؤمنون بالله، **(إِذَا ذُكِرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ شَمَاتُ قُلُوبٍ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ)** لأن الله تعالى دائماً في القرآن يقرن بين الإيمان به والإيمان بيوم الحساب، لأن الإيمان بالله يجعلك تستقيم على أمره، أما الإيمان باليوم الآخر فيمنعك من أن تظلم نملة، لا أقول إنساناً إنما يمنعك من ظلم نملة، يعني لا يمكن أن تدهسها من غير سبب هكذا من أجل أن تدهسها، لا يفعل ذلك المؤمن لأنه لا يريد أن يظلم، فالذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين يعتدون على الناس.

معنى الاستبشار:



الاستبشار هو ظهور السرور على بشرة الوجه

(وَإِذَا ذُكِرَ لِلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) الاستبشار: هو ظهور السرور على بشرة الوجه فسمي استبشاراً، لأن آثار السرور من شدتها تظهر على بشرة وجهه، يُسرُّ ويظهر وجهه مستبشراً بالناس، متى استبشروا؟ **(وَإِذَا ذُكِرَ لِلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** ألتهتم المزعومة يستبشرون إذا ذكرت اللات والعزى لأن هؤلاء مصالحهم معهم، فيستبشرون لمصالحهم في الحقيقة، هذا المعنى العام، كيف نطبقه على واقعنا اليوم؟ اليوم إذا قال لك إنسان: أنا علمي، أو يقول لك: أنا واقعي، مسميات، أنا عقلائي، حسناً، إذا وقع حدث كوني؛ زلزال فقال قائل: هذا زلزال من صنع الله تعالى وحده، لا تشاركوا بالله شيئاً الله تعالى هو الذي أراد وقوع هذا الزلزال لعله عاقب به أقواماً قد فسقوا عن أمر الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَضَرَبَ لِلَّهِ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَيْنِهَا رُفُهَا رَعْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسٍ لِّجُوعٍ وَخَوْفٍ يَمَّا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)

(سورة النحل)

وهناك من ماتوا وهم مؤمنون لعلى الله عز وجل يرفع درجاتهم، وهناك من مات له قريب فصير، والله يتولاه، الآن يفسر الزلزال تفسيراً إيمانياً، يقوم هذا العلماني العقلاني الواقعي ويشمئز، يقول له: أنا علمي أنا أوّمن بالعلم أخي، لا تتكلم لي عن هذه الغيبات لماذا تدخلون الله في كل شيء؟ -والغياض بالله- تكلم لي أنه حدث اضطراب في طبقة الأرض، المنطقة منطقة زلزالية تقع على فالق زلزالي معروف، يريد أشياء تفسر الظواهر الكونية بعيداً عن التوحيد، هذا ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لما أصبحوا وقد نزلت الأمطار، فقال:

{ هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطِرنا بفضل الله ورحمته ،

فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال : مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب. }

(رواه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني)

أمطرنا بفضل الله، النشرة الجوية حالة الطقس هي تنبؤ بما سيكون بناء على معطيات، لكن من الذي جاء بالمطر؟ الله فقط، هم ما علموا الغيب، هم أصبح عندهم أدوات تمكنهم من رؤية الغيوم وحركة الرياح قبل وصولها، فقالوا لك: ستصل غداً أو الأسبوع القادم حسب المعطيات العلمية، وقد تغير مسارها في اللحظة الأخيرة وهذا واقع، يقولون غداً مطر تستيقظ تجد الشمس ساطعة ولا يوجد مطر ولا أي شيء، يحدث، لكن توقع، وكلما تطور العلم ربما يصبح التوقع أكثر دقة لكن هو ليس غيباً، هو غيب عن الحواس، لكنه ليس غيباً عن التليسكوب، فالذي يقول: **(مُطِرنا بنوء كذا)** الكوكب الفلاني حسب النشرة الجوية السابقة عندهم **(فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)**.
فإذاً التوحيد يقتضي أن أي شيء يحصل في الكون يحصل بأمر الله تعالى فلا ينبغي إذا ذكر الله وحده من يشمئز قلبه وينفر عند تفسير الوقائع تفسيراً إيمانياً موضوعياً منطلقاً من الحقائق القرآنية والسنة النبوية فليراجع إيمانه، نحن لا ننكر حقائق العلم، ولا حقائق الواقع، ولا حقائق العقل، لكن هذه بعد الإيمان بالله تعالى، أما أصل الظاهرة أصل وقوع الشيء هو وقوع بأمر الله تعالى، **(وَإِذَا ذُكِرَ لِلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)**.

الاستجابة إلى التوحيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46)

(سورة الزمر)

(قُل) يا محمد صلى الله عليه وسلم. **(قُلِ اللَّهُمَّ)** اللهم يعني يا الله، لكن في القرآن يوجد يا رب، مع الله غالباً لا ينادى يا الله، ينادى في القرآن اللهم، الميم المشددة بديلة عن ياء النداء وهذه خاصة بلفظ الجلالة فقط، وهذا نداء خاص بالله أن تقول اللهم، باللغة العربية إذا كان الشخص قريباً تقول له: أسامر، تناديه بالهمزة، وإذا كان بعيداً تقول له: يا سامر، وإذا كان بعيداً جداً تقول: أبا سامر، تضع الهمزة مع الباء.
مع ربنا جل جلاله يوجد طريقة للنداء، ربنا جل جلاله بعيد في علو مكانه جل جلاله، لكنه قريب إلينا أقرب من جبل الوريد، لأنه لما سألوا الله تعالى أقرب ربنا أم بعيد؟ نزل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

(سورة البقرة)

الله تعالى قريب منا فنداؤه له في اللغة العربية صيغة قرآنية: **(اللَّهُمَّ)** هذا نداء.



الله يفصل بيننا

(فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ): إذا وصلت مع قومك في قضية التوحيد إلى مفترق طرق، ما أرادوا أن يستجيبوا للتوحيد، إذا الحل معهم: الله يحكم بيننا يوم القيامة، إذا وصلت مع أي إنسان في قضية أنت واثق من الحق والحق معك وأنت تناقشه وتجاوره بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وهو معرض، حاولت، جهدت معه، بذلت الجهد، عرضت الأدلة، بينت النصوص، حاورته عقلاً، حاورته منطقاً، شرعاً... إلى آخره لكنه لم يستجب قل له: الله يفصل بيننا، هو امتنع عن الاستجابة لشهوة في قلبه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ تَبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
لِطَالِمِينَ (50)

(سورة القصص)

(فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) ما قال فاعلم أن عندهم حجة أخرى غير الحجة التي عندك، لا فالأمور واضحة (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) هذا الهوى اليوم بسمونه عقلاً، يقول لك: أنا أتبع العقل، بل هو هوى النفس، لكن بسميه عقلاً، أقصد العقل عندما يوضع في مقابل النص، وقد حدثتكم عن ذلك سابقاً، العقل ليس في مقابل النص، النص وحي الله وحي السماء فهم يُعقل وتُستنبط الأحكام فقط، لكن لا يوضع العقل في مقابل النص، هذا النص لم يعجبني، عقلي لم يفهمه، عقلي لم يستوعبه، هذا نص إلهي، وحي، الوحي لا يقابله العقل أبداً، لا يناظره العقل، لا يوضعان نداءً لند معاذ الله، فالיום يتبع هواه لكن قد بسميه عقلاً قد بسميه تجديداً. لكن في النتيجة هو اتباع هوى، الذي لا يتبع منهج الله يتبع هوى نفسه، فهؤلاء لما تصل معهم لطريق مسدود وهم يريدون اتباع أهوائهم، فاتجه إلى الله تعالى وقل: أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، فالحكم لله، أي قضية لا تجد لها حلاً فدع الحكم فيها لخالق السماوات والأرض.

فاطر السماوات والأرض:



الفطر هو خلق الشيء على غير مثال سابق

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْلَىٰ وَتِلْكَ وَرُيْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ): الفاطر من قَطَر الشيء إذا خلقه ابتداء من غير مثال سابق، في حياتنا مثلاً: إذا افترضنا افتراضاً أن أول سيارة صنعت في الأرض ليس لها مثال سابق، بالمناسبة كل ما يسمى اختراعات البشر هي على مثال سابق، يعني لا يوجد شيء اخترعه البشر من لا شيء، يعني هم صنعوه كاملاً ليس تجميعاً لا يوجد مستحيل، لذلك يرى البعض أن كلمة اختراع في الأصل غير صحيحة، الصحيح هو الاكتشاف، هو لم يخترع شيئاً اكتشفه كان مغطى فاكشف، الكهرباء ليست اختراعاً، الكهرباء اكتشاف، موجودة لكن اكتشفوا أننا ممكن أن نمررها بأسلاك ونوصلها ونضي فيها المصباح، أما الكهرباء فموجودة منذ خلق الله الأرض ومن عليها.

فالاكتشاف أصوب من الاختراع، فعلى كل حال لو افترضنا أن أول سيارة صنعت هكذا الآن أي سيارة تُصنع الآن ليست ابتداء خلق، فطر، لأن العجلات الأربع والهيكل العام يطور بها تطويراً، لكن الأصل موجود، فالفطر هو خلق الشيء على غير مثال سابق، ابتداءً.

ابن عباس رضي الله عنهما لما قرأ (قَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال كنت أبحث عن معناها، هو يعرف معناها فابن عباس حبر الأمة، ولكن يبحث عن معناها عند العرب، كيف يتكلم العرب بكلمة فطر، قال: حتى رأيت أعرابيين في بئر يتنازعان في بئر فقال الأول منهما: أنا من نطقتها، يعني أنا جئت إلى هذا المكان، ونطقت البئر، واستخرجت الماء، فقال له الأول: أنا فطرناها، كان هناك أرض فأنا حفرت وصنعت البئر، وبعد ذلك تركته، وأنت جئت واكتشفت البئر ونطقتها، وأخرجت الماء، ولكن أنا من فطره، يعني أنا من أوجدته ابتداءً، فالقطر أن توجد الشيء على غير مثال سابق، والله تعالى (قَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) لم يكن شيء، كان الله ولم يكن معه شيء، فهو الذي ابتداءً خلق هذه السماوات والأرض على غير مثال سابق، ومن عدم، ليس تجميعاً، ليس حديداً مع خشب، بل على غير مثال سابق ومن عدم.

(قُلِ اللَّهُمَّ قَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) طبعاً السماوات والأرض تعبير قرآني عن الكون كله، لأن العربي يسير، سماء تطله وأرض تُقله، فينظر إلى الأرض والسماء، هذا ما يتبادر إلى الذهن، فالتعبير القرآني السماوات والأرض.

الشهادة والغيب:

(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) الله تعالى عالم الشهادة وعالم الغيب، الشهادة: ما تشاهده، والغيب: ما غاب عنك، هناك عالمان: عالم الشهادة وعالم الغيب، الآن هذه الغرفة التي نحن فيها هي لكل واحد منا عالم الشهادة، والشارع الآن بالنسبة لنا وما يجري فيه الآن غيب، من يسير في الشارع الآن هذه الغرفة بالنسبة له غيب، والشارع شهادة، فما تشاهده أو تدركه بحواسك قد لا تشاهده لكن تسمع صوته فهو شهادة، أو تشم ريحه فهو شهادة، أو تلمسه فهو شهادة، هذا ما تدركه بحواسك فهو شهادة، ما يغيب عنك غيب، الغيب الذي يغيب عن الإنسان يكون أحياناً غيباً مكانياً، يعني ليس غيباً بالمعنى المطلق، غيب مكان، الآن نحن الطريق غيب بالنسبة لنا، ولكن لو فتحنا النافذة لأصبح شهادة وهو شهادة بالنسبة لغيرنا، لكن الآن غيب، لكن غيب مكان، وهناك غيب زمان نحن لا نعلم ماذا جرى قبل مئة عام في هذا المكان، فهناك غيب في الزمان، وغيب في المكان، جل جلاله عالم الغيب والشهادة فهو يعلم ما غاب عنك ليس الغيب المكاني أو الزماني فقط، وإنما الأشياء التي غابت عنك مطلقاً، لا تستطيع الوصول إليها أبداً، يعني مثلاً: ما يجول في خاطرك الآن وأنت تنظر إلي هو غيب بالنسبة لي، لكن الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)

(سورة طه)



الغيب كله عند الله

الغيب كله عند الله، عظمة إيمانك وإيماني أن نؤمن بالغيب، أما عالم الشهادة فالإيمان به شيء مفروق منه، ليس فيه أي بطولة، فمن يقول الآن: هذه طاولة وأنا مؤمن بهذه الطاولة نضحك عليه، لأن الطاولة تشاهدها بعينك فأين الإيمان بالموضوع؟ الإيمان أن تؤمن بالغيب، وكل ديننا إيمان بالغيب، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كله غيب، غاب عنا ولا سبيل للوصول إليه، لكن نؤمن به لأن الله تعالى أعلمنا بوجوده، فالإيمان غيب، والله تعالى عالم الغيب والشهادة قال: (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47)

(سورة الزمر)

(وَلَوْ أَنَّ) لو حرف امتناع لامتناع، لولا: لو لا الله لساءت حالة المريض، وُجد شفاء الله فلم تشؤ حالة المريض، لو جئتني لأكرمك لكن لا أنت جئتني ولا أنا أكرمك، حرف امتناع لامتناع امتنع مجيئك فامتنع إكرامي، لو درست لنجحت لكنك لم تدرس فلم تنجح، فحرف امتناع لامتناع امتنع فيها شيطان.

النجاة من عذاب يوم القيامة:

(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) لكن ليس لهم (لَا فِتْنُوا بِهِ) إذاً لن يفتدوا، هو كلام افتراضي حتى يبين ندامتهم وحسرتهم يوم القيامة، هؤلاء الذين ظلموا، من الذين ظلموا في سياق الآيات؟ المشركون، الذين ظلموا أنفسهم لأنهم حرموها من الجنة، وظلموا أنفسهم في الدنيا لأنهم حرموها من القرب من الله تعالى، ظلموا أعظم الظلم أن تجعل لله نداً وهو خلقك جل جلاله، أعظم ظلم، أعظم من أي ظلم في الأرض أن تجعل لله نداً وهو الذي خلقك، قال تعالى على لسان لقمان:

يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)

(سورة لقمان)



أعظم الظلم هو الشرك

أعظم الظلم هو الشرك، فهنا (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أي الذين أشركوا (مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) ماذا يوجد في الأرض؟ مايكروسوفت؟ نعم، ومرسيدس؟ نعم، وبي إم؟ الذي تريده، كل ما هنالك من شركات سيارات ومراكب عالمية، ما في الأرض كله له.

(وَمِثْلَهُ مَعَهُ) وهذا لن يكون لكن لو افترضنا عنده الأرض كلها، ومعها أرض ثانية فيها كل ما في الأرض.

(لَا فِتْنُوا بِهِ) من سوء الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ من شدة العذاب، ومن العذاب السيئ على النفس يتمنى أن يقدم الأرض كلها، ومثلها معها ليفتدي نفسه، ليفك نفسه من العذاب يفعلها، فتخيل حجم المأساة التي يقدم فيها الإنسان كل شيء، إنسان مريض ومرضه صعب، كان يبصر وذهب بصره -نسأل الله السلامة- ابتلاه الله تعالى وفقده بصره، ربما يقول لك: والله مستعد أن أدفع كل ما أملكه، ويكون يملك عشرات الشركات والسيارات والبيوت والعقارات، يقول لك: والله -وهو صادق- أنا أدفع كل ما أملك ليرد الله إلي بصري أنا جاهز، هذا من شيء يسير، أول شيء يسير في حجم البلاء مهما اشتد، وثاني شيء في المدة، يعني هو عمره خمسون كم بقي له في هذه الدنيا؟ ثلاثون سنة مثلاً؟ مستعد أن يدفع كل ما يملك من أجل أن يبصر في هذه الثلاثين سنة، فما بالك يوم القيامة يوم يرى الظالمون ما أعده الله لهم من سوء العذاب! مستعد أن يدفع الأرض كلها ومثلها من أجل أن يفتدي نفسه، ولكن:

يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
وَلَا تَقُولُوا يَوْمًا لَا تَجْزَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَذْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (48)

(سورة البقرة)

ليس هناك عدل: أي مكافئ يكافئ ليفك نفسه من العذاب.

(وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَشِبُونَ) (بَدَا): أي ظهر، (وَبَدَا لَهُمْ): ظهر لهم، (مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَشِبُونَ) أي لم يكن في حسابهم أبداً، لا يمكن أن يتخيل الإنسان ما أعده الله تعالى من نعيم لأهل الجنة، قبل أهل النار:

{ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }

(رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة)

وبالمقابل لم يحتسب الظالمون أن العذاب بهذا المقدار، وهذا المستوى، (وَبَدَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (48)

(سورة الزمر)

(وَخَاقَ بِهِمْ) أي نزل بهم.

نتيجة الاغترار بالله تعالى:

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا) أي عاقبة السيئات التي كسبوها في الدنيا (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا) الإنسان أحياناً لما يفعل في الدنيا شيئاً ثم بعد عشرين سنة يكشف أن هذا الخيار كان خطأ، يقول لك: الآن ظهرت لي الآثار السيئة لما فعلت، وليتني لم أفعل، بعد عشرين سنة اكتشفت، يقول لك: أنا أولادي كانوا صغاراً، كنت أعاملهم بعنف، بقسوة، ما أعطيتهم حناناً يوماً، ما ضممتهم إلى صدري يوماً، ما أشعرتهم بقرينهم مني يوماً، بعد عشرين سنة شبّ أولاده قساة أيضاً، غير منتمين لوالدهم، لا يرغبون بالجلوس معه، يقول لك: الآن ظهر لي سيئات هذا الأمر، كنت في شبابي مشغولاً عنهم مع رفاقي، أفسو عليهم، أظن أن الرجولة في تلك القسوة، لكن تبين لي أنني خربت بيتي بيدي. (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا) فهم كانوا يطنون الأمر بسيطاً، لكن ظهرت آثاره يوم القيامة، ندم شديد، لا ينفع الندم. (وَخَاقَ بِهِمْ) أي نزل بهم (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) لما كانوا يقال لهم: عذاب الله، وسيأتي يوم وتعاقبون يقولون: لن يحاسبنا الله ولن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ولن ولن، يغترون بربهم الكريم، لكن (خَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتُهُ نِعْمَةً مَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (49)

(سورة الزمر)

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَعْجَىٰ ﴿٧﴾

الإنسان في القرآن الكريم

الضر: نقص في المال، افتقر، مرض مرضاً مزعجاً، كان في الطائرة وبدأ الاضطراب وأصبح سقوط الطائرة قاب قوسين أو أدنى، كان في البحر وهبت عواصف شديدة والأمواج علت من كل مكان، (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ) الأصل ألا يمسه الضر، الأصل هو الحياة الطبيعية، لكن قد يمسه الضر لحكمة من الله تعالى (مَسَّ) ما قال نزل به، مسّه مساً خفيفاً (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا) الطائرة عندما تضطرب الحركة الملحد يقول: يا رب، الفطرة، يستيقظ نداء الفطرة، والله أنا من وقائع شخصية، أشخاص ليس لهم علاقة بالدين أبداً، يمرض تزوره تجد من انكساره ورجائه بالله الشيء الكثير، تستغرب أن هذا هو نفسه (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا) لتفريج الضر، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتُهُ) أي أعطيتناه (نِعْمَةً مَّا) نعمة من الله عز وجل (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) كفور، كنود، كفور الإنسان إذا لم يعرف ربه، الإنسان في القرآن كثيراً ما يذمه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبَاطِلٌ ﴿٦﴾

(سورة العلق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (2)

(سورة العصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11)

(سورة الإسراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)

(سورة الكهف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)

(سورة النساء)

كثيراً ما يذمه الله تعالى لأنه لم يؤمن، ظلوماً جهولاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)

(سورة الأحزاب)

لكن لما يؤمن صار شخصاً آخر، حقق ذاته لما آمن، (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) يعني هذا الفصل بمالي وبطبيب مختص، وراجعت الطبيب والتزمت بالأدوية وشفيت، أنا بخبرتي العظيمة استطعت أن أثبت الطائفة لنجوا من المطبات ونهبط، لا يقول: الله عز وجل نجانا -والعباد بالله- هذا من أشد أنواع الكفر أن ينسب الفضل إلى نفسه، وينسب السوء إلى ربه، (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) قال تعالى:

الفتنة والابتلاء:

(بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) هذا الذي حصل كان اختباراً، فتنة: أي اختبار، قال تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتْ نَفْسًا فَتَجَنَّبَاكَ مِنَ الْعَمِّ وَقَتَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَيْسَتْ بِنِيبٍ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (40)
(سورة طه)

ابتلياك، فتنت الذهب: أي امتحنته على النار لأعلم رديته من جيده، فتنة، (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) اختبار، الذي حصل هو اختبار، أنت لما مرضت هذا المرض كان اختباراً لينظر الله أترضى وتشكر وتنسب النعمة للمنعم أم تنسب النعمة للطبيب ولذاتك؟ (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) لا يعلمون أنها فتنة، فينسبون الفضل لذاتهم ولا ينسبونه لخالقهم، النعمة من الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أُعْطِيَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (50)
(سورة الزمر)

ألم يقل فارون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)
(سورة القصص)

هذه الآية إشارة إلى فارون وأمثال فارون، (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَحَسْبُنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81)
(سورة القصص)

كسب السيئات:

(فَمَا أُعْطِيَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أُعْطِيَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ): أي لم يكن ما كسبوه مُغْنياً لهم عن عذاب الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۖ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51)

(سورة الزمر)

(فَأَصَابَهُمْ): من قبلهم (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا): الآثار السلبية السيئة لكسبهم، العقوبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مُمْلَاهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

(سورة الشورى)

فالعقوبة تسمى سيئة، لأنها جزء السيئة، (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) في القرآن الكريم الكسب يطلق على الأشياء الحسنة، والاكْتِسَاب على الأشياء السيئة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ (286)

(سورة البقرة)



الإنسان يكتسب الإنم ويكتسب الخير

لماذا؟ لأن الكسب سهل، لا يحتاج مجهوداً، الاكتساب يحتاج مجهوداً، الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، أنت جالس في البيت فدخلت عمتك، فأنت نظرت إليها وقمت وصافحتها، وربما قبلتها من جبينها وجلست معها، وسررت بها، وربما أيضاً تجلس وحدك ليس هناك أحد في الغرفة غيرك وغيرها لأنك لا تكتسب إنمًا هنا، ما المشكلة؟ هذه عمتك، لو دخلت امرأة غريبة، وأنت عندك ضوابط اجتماعية أو دينية، وأردت أن تنظر إليها الآن تكتسب هذا الإنم بطرف عينك، تأخذ زاوية، تحاول أن تنظر من هنا أو من هنا، هذا اكتساب، لأن هناك سوءاً تفعله والعياذ بالله، فالإنسان يكتسب الإنم ويكتسب الخير.

يبدو أن هؤلاء (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) لأن الإنسان عندما يبالغ في السيئة تصبح سهلة عليه هينة، فيصبح الكسب عنده كالإكتساب، يقول لك: وماذا فعلنا؟ ليس لديه في مشكلة في كسب السيئات- والعياذ بالله-

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۖ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) المشركين (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) هذا قانون، ربنا جل جلاله لم يستثن منه من كان قبلكم فلماذا يستثنىكم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (18)

(سورة المائدة)

جاءهم الجواب (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ) لما يقول بعض المسلمين اليوم قولة حق أريد بها باطل، أريد بها الإفلات والتفلات من منهج الله تعالى: نحن أمة محمد المرحومة لن يعذبنا الله تعالى، يقال لهم: وأنت سيصيبكم سيئات ما كسبتم، والنبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة سيقول سحقاً لمن بدل وغير، فلا تعتز ولا تغتر بشيء أكرمك الله تعالى به فبتترك العمل، نحن أمة محمد ونسأل الله أن يشفع لنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لا نركن إلى ذلك فنترك العمل، وإلا أصبحنا كهذه الأمة التي قالوا: (تَجُنُّ أُمَّتُكَ اللَّهُ وَأَجْنَاؤُهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ) لَمَّا يترك الإنسان المنهج يصيح بشراً كأي بشر، لَمَّا يتمسك بالمنهج له عندها أن يعتز أنه من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إعجاز القرآن الكريم:



القرآن معجز لأن العرب عجزوا عن الإتيان بمثله

(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَبَابٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ): معجز: يعجزك: أي يجعلك عاجزاً عنه، يقال: هذا الطالب أعجزني، حاولت بكل طريقة أن يفهم الإعراب فلم يفهم، أعجزني، جعلني عاجزاً عن أن أفعل شيئاً جديداً معه، مازال ينصب الفاعل ويرفع المفعول به، أعجزني، والقرآن معجز وفيه إعجاز لأن العرب عجزوا عن الإتيان بمثله فأعجزهم، فهو معجز، والمعجزة: يعجز البشر عن الإتيان بمثله مع التحدي، فهي معجزة، لماذا مع التحدي؟ إنسان لم تتحدّه بشيء ثم قلت له: أنت عجزت أن تفعل، يقول لك: لو قلت لي لفعلت، ولكن أنا ما حضرت نفسي، لا أعلم، فالمعجزة مع التحدي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)

(سورة الإسراء)

وجعل الجن معهم لأن العرب كانوا في الجاهلية إذا كان هناك شاعر فصيح جداً جداً، وبلغ جداً جداً يقولون: يعلمه الجن فيعتبرون الجن أفصح من الإنسان، ويقولون هذا يذهب إلى وادي عفر، وإد قريب من مكة اسمه عفر، فيقال: هذا يعلمه الجن في وادي عفر، هكذا يعتقدون لأن الجن عندهم أفصح من الإنسان، فאלله تعالى قال: (قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) فهو معجز، عجزوا عن الإتيان بمثله، مع التحدي لهم أن يأتوا بمثله، فهنا:

(وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ): بمعنى لن يستطيعوا أن يفلتوا من عقوبة الله، لن يعجزوا الله تعالى، حاشاه جل جلاله.

مفهوم الرزق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)

(سورة الزمر)



الرزق ليس المال فحسب

الله تعالى يبسط الرزق: **البسط**: العطاء والله تعالى من أسمائه الباسط، يوسّع على عباده في الرزق، والرزق ليس المال فحسب، المال نوع من أنواع الرزق، الصحة رزق، الحلم رزق، الأمانة رزق من الله، الكرم رزق من الله، كل شيء تنتفع به فهو مما رزقك الله تعالى به، الولد رزق، الزوجة رزق، كله رزق، كل ما يأتك من الله من خير فهو رزق من الله ساقه الله تعالى إليك، بغض النظر عن كونه مالاً أو غير مال، وهناك رزق سلبى، هناك رزق إيجاب، ورزق سلب، كيف يكون الرزق سلبياً؟ هل يوجد رزق سلبى؟ نعم، إذا جاءك طفل سليم، هذا رزق سلبى لأنه لو كان عنده إشكال احتاج أن تضع آلاف الدنانير لعلاج، معناها وفرت آلاف الدنانير لأنه سليم فأنت رزقت، أحياناً يكون رجلان يعملان في مكان واحد، شخص راتبه ثلاثمائة وشخص راتبه ألف، ففي منظور الناس هذا رزقه أكثر من هذا ألف وهذا ثلاثمائة، لكن هذا الذي رزقه ألف عنده ولد مريض، يحتاج كل شهر إلى ثلاثمائة دينار، من أجل العلاج، وعنده أفساط، اشترى عدة أشياء على الأفساط فيدفع ثلاثمائة أو أربعمئة فيبقى له مئتان، بينما الآخر عنده ثلاثمئة صافية، فليس لديه أفساط، ولا عنده ولد مريض وعافاه الله فليس لديه حوادث سيارات وما إلى ذلك، فمن رزقه أكثر؟ صاحب الثلاثمائة، فالرزق عملياً من الله عز وجل شيء محيّر فالإنسان لا يمد عينيه إلى ما منح الله به الناس الآخرين، لأن الله أعلم بحالك، وأعلم برزقك، وأعلم بما يصلحك وبما يفسدك، فاقتنع بما آتاك الله، نعم.

(يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يقدر: أي يضيق، فهو القابض الباسط جل جلاله وهذا القبض والبسط من أسماء الله الحسنى متعلق بمن؟ بالمخلوقين، أسماء الله الحسنى تتعلق بالمخلوقين، إذا قلت: الله لطيف، يلطف بمن؟ بعباده، الله لطيف بعباده، هو قابض وباسط، يقبض ويبسط ماذا؟ أرزاق عباده لحكمة يعلمها هو.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ) في بسطه وقدره جل جلاله، تقدير الرزق على البعض وبسطه للآخرين (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) إذا كان هناك إيمان بالله تعالى فهذا القبض والبسط يكون آية دالة على عظمة الله للإنسان المؤمن، أما البعيد المنحرف فلا يرى آيات الله عز وجل، أما إذا كان في الأصل مؤمناً فيرى آيات الله تعالى في كل شيء، ومنها أنه يقبض الرزق ويبسطه لبعض الناس، ثم يضيق على فلان ويوسع على فلان، ثم يوسع على من ضيق عليه ويضيق على من وسع عليه، وهكذا، فهذا من حكمته جل جلاله، والحمد لله رب العالمين.